مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

مشكلة بناء المجتمع في العالم الإسلامي: رؤية تحليلية لأفكار مالك بن نبي

The problem of the construction of society in the Islamic world: analytical vision of the Malek Bennabi ideas

د. محمد لخضر حرز الله
mohamed.harz@yahoo.fr
جامعة محمد خيضر – بسكرة

تاريخ الإرسال: 2021/03/13 تاريخ القبول: 2022/01/05

الملخـــص:

لقد سعى مالك بن نبي من خلال سلسلة مؤلفاته التي كتبها تحت عنوان "مشكلات الحضارة" إلى استجلاء أسباب الانتكاسة الفكرية التي مُنِيَ بها المجتمع المسلم فأدت إلى ركوده وتخلفه عن صناعة الحدث الحضاري، فوضع ميسمه على مخادع العلل في العالم الإسلامي وحاول توصيف العلاج الملائم لها. وعليه تأتي هذه الدراسة لتبحث في الشروط الموضوعية " لبناء المجتمع في العالم الإسلامي" من منظور مالك بن نبي من خلال الاستفادة من إسهاماته الفكرية المتعلقة بمفهوم مصطلح المجتمع ومحدداته المفاهيمية والوظيفية، وأسباب تدهور المجتمعات الإسلامية وآفاق بنائها وفق روح العصر وآلياته.

الكلمات المفتاحية: المجتمع، العالم الإسلامي، عالم الأفكار والأشياء، القابلية للاستعمار، فعالية الأفكار.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

Abstract:

Malek Bennabi, through his series of books, which he wrote under the title "The Problems of Civilization", looked into the causes of the intellectual retreat which afflicted Islamic societies and led them to stagnation and collapse. The failure of the civil events industry, so he got his hands on the diseases hidden in the Islamic world and tried to prescribe the appropriate treatment for them. Consequently, this study examines the objective conditions for the construction of society in the Islamic world from the point of view of Malek Bennabi, using his intellectual contributions related to the concept of the term "society" and its conceptual and functional determinants, and the causes deterioration of Islamic societies, and the prospects of building them according to the spirit of the era and its mechanisms.

Keywords: society, Islamic world, world of ideas and things, susceptibility to colonization, efficiency of ideas.

المقدمـــة:

إن المجتمعات المسلمة تعيش اليوم مخاضا عسيرا في سبيل اكتمال بنيتها المجتمعية وارتسام ملامح هويتها الحضارية، خاصة بعد خروجها من ربقة المستدمر الذي سعى لتفكيك روابطها الاجتماعية وتغييب دورها الحضاري والإنساني، غير أن هذا الأخير ليس هو السبب الوحيد الذي يمكن أن يُتّخذ تِكْأَةً نستند عليها لتفسير مسببات الضعف والوهن في البناء والأداء لدى المجتمعات المسلمة، وهذا ما حدا بالمفكر الجزائري مالك بن نبي إلى تقديم مقاربة تحليلية ورؤية تفسيرية للأسباب الفعلية والعميقة التي أدت إلى تخلف بناء المجتمع في العالم الإسلامي الذي يجمع بين روح الإسلام ومقتضيات العصر وآفاق المستقبل، وقد استطاعت رؤية مالك بن نبي أن تضيء العديد من الجوانب المبهمة

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

في عملية البحث والاستقصاء عن مسببات الإخفاق ومبرراته الموضوعية، وعن سبل البناء والإقلاع ومتطلباته المنطقية وقواعده السُّنَنِيّة.

1- إشكالية الدراسة وتساؤلاتها الفرعية:

سنحاول من خلال هذه الدراسة تتبع وتحليل أفكار ورؤى مالك بن نبي وإسهاماته حول هذا الموضوع منطلقين من الإشكالية التالية:

ما هي شروط تحقيق الفعالية الحضارية لبناء المجتمع في العالم الإسلامي من منظور فكر مالك بن نبي ؟

وتنبثق عن هذه الإشكالية التساؤلات التالية:

- ما المقصود بمصطلح المجتمع وما هي محدداته المفاهيمية والوظيفية عند مالك بن نبي ؟
- ما هي أهم معوقات بناء المجتمع في العالم الإسلامي عند مالك بن نبي ؟
- ما هي المقومات الحضارية لبناء المجتمع في العالم الإسلامي من منظور مالك بن نبي؟

2- فرضية الدراسة: تحاول الدراسة البحث في الأسباب المركزية التي تعيق حركة البناء والتغيير في العالم الإسلامي، وعوامل غياب معالم البناء الحضاري للمجتمع في منحى التفكير ونمط السلوك، وللإجابة الأولية على إشكالية الدراسة نقترح الفرضية التالية:

إن امتلاك المنطق العملي والاستثمار في الثروة الفكرية والمورد البشري، يعتبر الركيزة الأساسية لبناء المجتمع في العالم الإسلامي.

3- أهمية الدراسة:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

إن بناء المجتمعات الحديثة ينطلق من أسس علمية ويخضع لشروط تاريخية ومتطلبات ذاتية لا بد من توفرها للانتقال من حالة الركود التي تطبع الجماعات البشرية الفاقدة للفعالية والانسجام الوظيفي فيما بينها، إلى حالة المجتمع الوظيفي المتسم بالقدرة على التغيير والإنجاز الحضاري. فالدراسة تعالج أهم الإشكالات التي جعلت المجتمعات الإسلامية تعيش حالة الجمود وعدم التماهي مع روح العصر ومتغيراته، فانحسر دورها التاريخي في صناعة الإبداع والتميز على مستوى الفكر والأداء، كما تحاول الدراسة توصيف مقومات الارتقاء وفق رؤية مالك بن نبي في تشريحه لخلفيات الأزمة الحضارية للعالم الإسلامي وآفاق الانبعاث المأمول.

4- أهداف الدراسة: تهدف هذه الدراسة إلى استجلاء ما يلي:

- أسباب انحسار الدور الحضاري للمجتمعات الإسلامية وخلفياتها التاريخية والذاتية الكامنة في الأنفس ونوعية الأفكار المستحكمة في النفس والموجهة للإرادة والسلوك والعلاقات الاجتماعية.
- الكشف عن العلاقة بين مستوى ونوعية الأفكار وبين الأداء المجتمعي والقدرة على الإنجاز والتغيير.
- بيان الأسس البنائية لتحقيق فعالية المجتمعات الإسلامية وانعتاقها من ربقة الجمود الفكري والعملي.
- عرض وتحليل أفكار مالك بن نبي في صياغة مفهوم المجتمع وفق منظور حضاري وظيفي، وإسهاماته في نقد وتحليل المشكلة

الحضارية في العالم الإسلامي.

5- منهج الدراسة:

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

لقد تم الاعتماد المنهج الوصفي خلال مراحل هذه الدراسة، من خلال تشريح الظاهرة محل الدراسة وتفكيك أبعادها الأساسية، ثم جمع المادة العلمية المتعلقة بها وتحليلها وترتيبها وفق سياق منهجي متكامل، قصد الوصول إلى استنتاجات علمية تساعدنا في بناء رؤية سليمة ومنسجمة حول طبيعة الدراسة، والإجابة على إشكاليتها والتحقق من سلامة الفرضية المطروحة وتحديد العلاقة بين متغيراتها.

وقد تمت الاستعانة ببعض مؤلفات مالك بن نبي ذات العلاقة بموضوع الدراسة، والاستناد على آرائه في ضبط مفهوم المجتمع ومحدداته، وتحليل أسباب ركود المجتمعات الإسلامية ومقومات تحقيق فعاليتها الحضارية.

1- التأصيل المفاهيمي لمصطلح "المجتمع" عند مالك بن نبي.

يعتبر مصطلح "المجتمع Society" من المفاهيم التي تناولها علم الاجتماع والأنتروبولوجيا بالبحث والتأصيل، بهدف دراسة حركة الأفراد داخل إطار اجتماعي وثقافي معين، وما يرشح عن ذلك من تفاعلات وممارسات وأنظمة سلوكية تحدد دورهم الحضاري ضمن نسق كلي متفاعل، ومما لا شك فيه أن لكل مجتمع قيمه وأسسه الحضارية وعمقه التاريخي ومحيطه الجغرافي، الذي يمارس عليه وجوده وسيادته ووظائفه المختلفة.

وقد طورت الدراسات الاجتماعية عدة مقاربات ومداخل علمية لدراسة وتحليل سلوك المجتمعات ومعالجة أسباب ركودها وضعف فعاليتها، ولا شك أن العالم الإسلامي بعد تحرره من نير الاستدمار ورث مجتمعات مشوهة فكريا وثقافيا واجتماعيا، عملت فيها الآلة الاستدمارية كل الحيل لتعطيل الأسس البنائية لهذه المجتمعات، وإحداث شروخ عميقة في كيانها القيمي والفكري والأخلاقي، ساهمت إلى حد بعيد في تعطيل مشروع بناء مجتمع متكامل واضح المعالم والمسارات والأهداف، وقادر على الإقلاع الحضاري

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

وممارسة دوره في إغناء الحضارة العالمية بمختلف العلوم والفنون والمنجزات كما كان أسلافه، وفي هذا السياق حاول مالك بن نبي رصد هذه الظواهر في عالمنا الاسلامي فقدم تحليلا علميا مميزا حول مفهوم المجتمع، كما شَرَّحَ بفكره الناقد العلل المعطلة للبناء الحضاري في مجتمعاتنا وسبل التخلص منها وتحقيق شروط الفعالية الحضارية للانبعاث من جديد.

1-1- مفهوم المجتمع عند مالك بن نبي

لقد قدم مالك بن نبي رؤية تحليلية دقيقة لمفهوم المجتمع ووضع توصيفا علميا لشروط قيامه، مستندا على استقراء تجارب الأمم والحضارات، وقد خصص لذلك مؤلفا مستقلا بعنوان "**ميلاد مجتمع**" جمع من خلاله خلاصة أفكاره حول هذا الموضوع، ومن خلال تتبع أطروحاته العلمية حول ماهية المجتمع، نجده يعرفه بأنه: "**المجتمع ليس مجموعة من الأفراد بل هو تنظيم معين ذو طابع إنساني يتم طبقا لنظام معين...**" وهذا النظام يقوم على عناصر ثلاثة:

1- حركة يتسم بها المجموع الإنساني.

2- وإنتاج لأسباب هذه الحركة.

3- وتحديد لاتجاهاتها.[1]

فمالك بن نبي يحدد هنا ثلاث خصائص تشكل بمجموعها مفهوم المجتمع، فهو يؤكد على:

أ– حركية الأفراد ككتلة منسجمة قادرة على صهر أفكارها وقواها الجماعية حتى تتمكن من التأثير في الواقع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي ...الخ.

[1]– مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**. تر: عبد الصبور شاهين، الجزائر: دار الوعي، 2013، ص 17.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

ب– إيجاد مصادر هذه الحركة؛ أي البحث عن الأسس والقيم والأفكار المشتركة التي بمقدورها جمع إرادات الأفراد وتغذيتها باستمرار للوصول إلى الأهداف.

ت– وضوح الأهداف "الاتجاهات" وتضافر جهود الجميع نحو تحقيقها.

وفي موضع آخر من كتابه "ميلاد مجتمع" يعرف المجتمع بقوله: "**هو الجماعة التي تغير دائما خصائصها الاجتماعية بإنتاج وسائل التغيير مع علمها بالهدف الذي تسعى إليه من وراء هذا التغيير.**" [1] ومن الوهلة الأولى نلاحظ أن مالك بن نبي يفرق في تعريفه للمجتمع بين مفهومين أساسيين وهما "**المجتمع**" و"**مجموعة أفراد**" أو "**التجمع البشري**"، فيُعتَبَرُ "**مُجتمَعًا**"؛ كل جماعة منظمة ذات أهداف محددة وتتسم بالفعالية، وقد عبر عنها "بالحركة Movement" التي تمدها بالاستمرارية والتطور والارتقاء، ويوضح ذلك أكثر عند قوله:" **إن كل جماعة لا تتطور ولا يعتريها تغيير في حدود الزمن تخرج بذلك عن التحديد الجدلي لكلمة (مجتمع).**"[2] فهنا يعتبر مالك بن نبي أن التغيير والفعالية المجتمعية عبر مراحل التاريخ هي أحد أهم محددات الدلالة الاصطلاحية لمفهوم "المجتمع" وهو ما عبر عنه بالحركة التي تتولد من مقوماته وروابطه الاجتماعية ومنظومته القيمية والفكرية وما يزخر به من علوم وفنون ومهارات، فبحسب قيمتها ونوعيتها ووظيفتها تتحدد حركية المجتمع واتجاهه نحو البناء والتطوير والارتقاء، فكما أن هناك قيم تدفع نحو البناء (الحركة الإيجابية)، هناك قيم تدفع نحو الهدم والخراب (الحركة السلبية).

1-2- محددات مفهوم "المجتمع" عند مالك بن نبي

[1] – المرجع نفسه، ص 17.

[2] – المرجع نفسه، ص 16.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

بناء على التوصيف المفاهيمي الذي قدمه مالك بن نبي حول دلالة مصطلح المجتمع، وبعد تتبع تحليله لشروط قيام المجتمع في كتابه "ميلاد مجتمع"، نخلص إلى القول أن مالك بن نبي حدد ثلاثة محددات أساسية تمثل الأبعاد التأسيسية للمجتمع، وهي:

1-2-1-فطرية الاجتماع الانساني: فهو يرى أن الفطرة الإنسانية تتزع نحو الاجتماع وتنبذ الانعزال أو الفردانية، فالإنسان اجتماعي بطبعه وقد خلقه الله ألوفا يأنس بغيره، حيث يقول:" نرى أن الحياة الاجتماعية ضرورة لكيان الفرد فهو يلقي بنفسه إلى التهلكة إذا انفصل عنها، الإنسان شأنه في هذا شأن النحلة، إنه لا يستطيع أن ينعزل عن المجتمع ولو يحاول بجهده الخاص إذ مصيره من غير شك إلى الموت." [1]

كما يميز مالك بن نبي في جزئية فطرية الاجتماع بين الاجتماع الحيواني والاجتماع البشري، وذلك من حيث طبيعة أهداف كل منهما، فإذا كان الهدف من المجتمع الحيواني المحافظة على **النوع**، فإن الهدف من المجتمع البشري أسمى من ذلك إنه **الارتقاء والبناء الحضاري والتجديد**، يقول مالك بن نبي في هذا الصدد: "فإن الطبيعة تأتي بالفرد في حالة بدائية ثم يتولى المجتمع تشكيله ليُكيِّف طبقا لأهدافه الخاصة وهذا المعنى الذي يقصد إليه رسول الله صلى الله عليه وسلم بقوله: "كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه أو ينصرانه أو يمجِّسَانِهِ."[2] ويقول أيضا:" إن الطبيعة توجد النوع (الأفراد) ولكن التاريخ يصنع المجتمع، وهدف الطبيعة هو مجرد المحافظة على البقاء، بينما

[1]– مولاي الخليفة لمشيشي، **مالك بن نبي دراسة استقرائية مقارنة**. ط1، دمشق: دار النايا ودار محاكاة للنشر والتوزيع، 2012، ص 115.

[2]– المرجع نفسه، ص 117.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

غاية التاريخ أن يسير بركب التقدم نحو شكل من أشكال الحياة الراقية، وهو ما نطلق عليه اسم الحضارة." [1]

1-2-2- التحديد الزمني لمفهوم "مجتمع": ويقصد بالتحديد الزمني في مفهوم المجتمع، حركية أفراد المجتمع داخل إطار الزمن، أي ما يقدمونه من تجديد وإنتاج وتطوير للعلاقات الاجتماعية والاقتصادية والثقافية وقيمة ذلك ونسبته في مدة زمنية معينة، فيقول ابن نبي:" ينبغي أن نحدد (المجتمع) في نطاق (الزمن)، فتجمعات الأفراد الذين لا يعدّل الزمن من علاقاتهم الداخلية، ولا تتغير نشاطاتهم خلال المدة لا تعد من التجمعات الخاصة التي نقصدها بمصطلح "مجتمع"، فالمعيار المعتمد لا يستند إلى الجانب الكمي(أكداس من الأفراد) فنسمي كل تكديس بشري مجتمعا." [2] وهذه ملاحظة في غاية الدقة، فهو يؤكد على مسألة هامة وهي قدرة الأفراد على "استثمار الزمن الحضاري"، فقد تجد مجتمعين يعيشان زمنا كونيا واحدا إلا أنهما يختلفان في توقيت الزمن الحضاري، أين يتفوق فيه أحدهما على الآخر بحسب قدرته على التجديد، وما يمتلكه من عناصر الفعالية في استثمار الزمن كمورد استراتيجي متناقص وغير قابل للتجديد.

1-2-3- التحديد الوظيفي لمفهوم" مجتمع": يقول ابن نبي: "لم ندقق في مصطلحات علم الاجتماع، ففهمنا أن المجتمع إنما هو عبارة عن عدد من الأفراد، يعيشون كما يشاؤون مهما كانت الصلات بينهم، ليس هذا هو المجتمع، هذا يمكن أن نسميه بقايا مجتمعات أو بداية مجتمعات قبل أن تقوم بوظيفتها التاريخية، أما المجتمع الذي يقوم **بوظيفته التاريخية**، المجتمع الذي يقوم بوظيفته نحو الفرد ويحقق راحة الفرد... فهو

[1] – مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**. المرجع السابق، ص 19.
[2] – مولاي الخليفة لمشيشي، المرجع السابق. ص117.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

ليس عددا من الأفراد، وإنما هو شيء خاص، هو **بنيان وليس تكديسا** من الأفراد، بنيان فيه أشياء مقدسة متفق عليها." [1] وهذا البعد الوظيفي يراعي ضرورة وجود ضمانات اجتماعية يقدمها المجتمع لأفراده والمجموع لآحاده، أي" مجموعة الشروط الأخلاقية والمادية التي تتيح لمجتمع معين أن يقدمها لكل فرد من أفراده في كل طور من أطوار نموه، فالمدرسة والعمل والمستشفى ونظام شبكة المواصلات تمثل في جميعها أشكالا مختلفة للمساعدة التي يريد ويقدر المجتمع المتحضر على تقديمها للفرد الذي ينتمي إليه...وقد لجأ ابن نبي إلى الحديث النبوي الذي يشرح مَثَلَ السفينة كأسلوب رمزي يحدد وظيفة المجتمع في توحيد اللحمة الاجتماعية نحو الهدف الواحد."[2] فالبعد الوظيفي لمفهوم المجتمع يرتكز على قدرة المؤسسات الحكومية عبر سياساتها العامة واستراتيجياتها التنموية على الوفاء بالمتطلبات والحقوق الأساسية للمواطنين، وتحقيق التغيير المأمول هذا من جهة، ومن جهة أخرى على مدى تحقق مفهوم "**التعاضد**" والاعتماد المتبادل بين أفراد المجتمع الذي يتجسد في صور التضامن الاجتماعي التي تمثلها المنظمات المدنية والخيرية والجهود الفكرية والتعليمية للمثقفين والمفكرين ورجال العلم والإصلاح، وهذا ما أشار إليه حديث السفينة الذي رواه النعمان بن بشير رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم، قال: (مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَاقِعِ فِيهَا؛ كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا، وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِن الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِيبِنَا خَرْقًا وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ

[1] – مالك بني نبي، **تأملات**. دمشق: دار الفكر، 2002، ص 157.

[2] – مولاي الخليفة لمشيشي، المرجع السابق، ص 120.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

يَتْرُكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا.) رواه البخاري.

شكل رقم(01) المحددات المفاهيمية لمصطلح "المجتمع" عند مالك بن نبي.

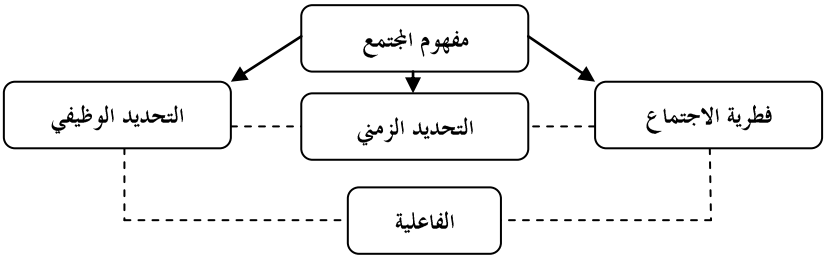

المصدر: من إعداد الباحث.

2- تصنيف المجتمعات من منظور مالك بن نبي.

لقد قسم مالك بن نبي المجتمعات البشرية انطلاقا من معيار "**الحركة والفعالية**" إلى نوعين:

2-1- المجتمع الطبيعي أو البدائي Natural society: وهو المجتمع الذي لم يعدل بطريقة محسَّةٍ المعالم التي تحدد شخصيته منذ كان... وهو المجتمع الساكن ذي المعالم الثابتة، كالمجتمعات الموجودة في مستعمرة النمل أو النحل، والقبيلة الإفريقية في عصر ما قبل الاستعمار، والقبيلة العربية في العصر الجاهلي.

2-2- المجتمع التاريخي Historical society: هو الذي ولد في ظروف أولية معينة ولكنه عدل من بعد صفاته الجذرية ابتداء من هذه الحالة الأولية طبقا لقانون

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

تطوره... وهذا النوع يحقق النموذج المتحرك، أعني المجتمع الذي يخضع لقانون التغيير، الذي يعدل معالمه من جذورها. [1]

فتبعا لفكرة الحركة جاء تقسيم ابن نبي للمجتمعات الانسانية، ونلاحظ دوما تركيزه على فكرة التغيير والحركية والفاعلية في سياق زمني محدد، وتقديم الإضافة النوعية والتجديد كمؤشرات ضرورية لتكوين المجتمع وبقائه وتطوره.

ثم قسم **المجتمع التاريخي** المتجدد والمتحرك، من خلال تحليل أسباب وطريقة نشأته، إلى نوعين:

أ– المجتمع التاريخي الذي يولد، فيكون ميلاده إجابة عن اختيار مفروض، تفرضه الظروف الطبيعية الخاصة بالوسط الذي

يولد فيه. [2] ويقصد بهذا النوع المجتمعات التي تتولد حركيتها **بتفاعلها مع البيئة الطبيعية** وظروفها الصعبة، فتتأقلم معها وتطوعها لصالحها، ولذا سمى هذا النوع "**بالنموذج الجغرافي**" ومن أمثلته المجتمع الأمريكي الذي هاجر من أوروبا وتأقلم مع ظروف القارة الجديدة وأسس بها مجتمعه.

ب– المجتمع التاريخي الذي يرى النور تلبية لنداء فكرة وهذا هو النموذج الفكري (الإيديولوجي). [3] ويقصد بهذا النوع المجتمعات التي تتولد حركيتها **بدافع الفكرة**، فهي ذاتية الحركة وتغير واقعها بناء على فكرة مؤثرة تحمل في ثناياها بذور التغيير، فهي تنطلق من جغرافيتها لتأسس مجتمعا متطورا وفق رؤية وهدف محددين، وإلى هذا النوع ينتمي

[1] – مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**، المرجع السابق، ص 9– 10.
[2] – المرجع نفسه ص 11.
[3] – المرجع نفسه ص 11.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

المجتمع الإسلامي كما يقول مالك بن نبي، الذي انطلق من فكرة الإسلام ليحول مجموعة أفراد(المجتمع الجاهلي) إلى مجتمع منظم وصاحب فكرة يدافع عنها.

"ومن ثَمَّ فلا يتحدد المجتمع عند مالك بن نبي بالأفراد ولا بالجغرافيا، بل بالعلاقات النفسية والمبدئية التي تربط أفراده بالمثل الأعلى الذي يعيشون لأجله، فالمجتمع قبل أن يكون بنيات أو مؤسسات أو تجمعا بشريا كميا، فهو عبارة عن "فكرة" و"قيم"، فقد تَجَسَّدَ مفهومُ "المجتمع" حتى في الرجل الواحد الذي يمثل في هذه الحالة نواة المجتمع الوليد... وذلك بلا شك المعنى المقصود من كلمة "أمة" عندما يطلقها القرآن الكريم على إبراهيم عليه الصلاة والسلام في قوله "**إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا**" (النحل: 120)." [1]

إذن فمنظومة الأفكار السائدة في المجتمع هي من يحدد طبيعة العلاقات الاجتماعية بين أفراده ودورهم في معادلة التنمية والبناء الحضاري، وهذا ما يفسر لنا جزءا من طبيعة البنية الاجتماعية للمجتمعات الإسلامية عبر دورتها الحضارية منذ زمن الرسالة إلى وقتنا الحاضر، فقد كان المجتمع الجاهلي العربي لا يمتلك المقومات الحضارية التي تنقله من وضعية "التجمع البشري" إلى وضعية "المجتمع"، وذلك لانعدام الوشائج الروحية التي توحد قوى أفراده نحو هدف نبيل وباتجاه واحد، وهذا ما نجح الإسلام في تحقيقه عندما حمل إليهم منظومة فكرية وأخلاقية واجتماعية واقتصادية وسياسية جديدة، فسقت تلك النفوس الظمأى روحيا، الجافية أخلاقيا، الخاوية معرفيا، بنور الإيمان والتوحيد، وأرسى مبادئ الأخلاق والفضيلة وروح الجماعة والتنافس على العمل الصالح وطلب العلم والمسابقة في الخيرات وإتقان العمل والإحسان في كل شيء، والرأفة والرحمة مع جميع الكائنات، والاهتمام بتربية الأولاد وتكريم المرأة واستعادة دورها المركزي في المجتمع

[1]– مولاي الخليفة لمشيشي، المرجع السابق. ص 113.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

وبناء الأسرة وتنظيم المعاملات المالية والعلاقات الدولية وسياسة السلم والحرب...الخ، فكانت فكرة الإسلام بمثابة ثورة على الموازين المختلة للعهد البائد، فأحيت في نفوس معتنقيها معنى "الفاعلية" و"الحركة" لتغيير مجرى التاريخ وإثبات الحضور الفعال في رحاب الحضارة الإنسانية حتى سمع صدى هذه "حركة" في الأندلس وقرطبة وبغداد ودمشق والقاهرة.

3- معوقات بناء المجتمع في العالم الإسلامي عند مالك بن نبي

لقد سعى مالك بن نبي إلى إعطاء تحليل تشريحي دقيق وعميق لأسباب تخلف العالم الإسلامي وتعطل مشروع بناء المجتمع قبل الحقبة الاستدمارية وما بعدها، رغم توافره على مادة أولية صلبة وجامعة (الموارد المادية والمقومات اللغوية والدينية والأخلاقية المشتركة)، حيث تتبع المسار الفكري والتاريخي الذي آل به إلى حالة (اللافعالية والجمود) وأدى به إلى الوقوع تحت نير الاستدمار، وكيف تسبب هذا الأخير في إحداث الشرخ بين الفكرة والعمل، محاولا التعمق أكثر في سبر أغوار هذه الظاهرة (الجمود واللافعالية)، متلمسا أسباب الخلاص منها. ومن خلال استقراء أطروحاته الفكرية حول أهم الإشكالات والمعوقات التي تقف حائلا دون تحقق صفة "الوظيفية" و"الفعالية" و"الإنجاز الحضاري" في المجتمعات الإسلامية التي تؤهلها للبناء والتنمية الحقيقية، يمكن أن نحددها في ما يلي:

3-1- ضعف الأساس المفاهيمي

ويقصد بذلك غياب أي قيمة أو اعتبار للفكرة في العالم الإسلامي الذي يظل محكوما بمجموعة من الأفكار عديمة الفعالية (الأفكار القاتلة والميتة)، فهناك سمة واضحة في المجتمعات المسلمة، وهي تقديس الجوانب المادية والشكلية على الحقائق والأفكار والمفاهيم، وتغليب عالم الأشياء على عالم الأفكار، وهذه السمة هي قاعدة حُكْمِيّةً في

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

كل المجالات: الاقتصادية والاجتماعية والسياسية وحتى الفنية والجمالية والدينية، فمثلا: لو نرى شيخا وقورا ذا لحية وعليه عمامة وقميص أبيض، نعتقد مباشرة أنه عالم أو أنه متدين، من دون أن نحاكمه إلى فكره وسلوكه، وقس على هذا المثال بقية المواقف، وهذا هو المقصود **بضعف أساسنا المفاهيمي**، حيث يقول مالك بن نبي موضحا:" إن قيمة مجتمع معين في فترة ما من تاريخه، لا يعبر عنها بمجموعة (الأشياء) في هذا المجتمع ولكن بمجموعة (أفكاره)، وإذن فما هي قيمة مجتمعنا الآن؟ مهما يكن من أمر فإن شيئا واحدا هو المؤكد: وهو أن (أساسنا المفاهيمي) ضعيف للغاية، و(عالم أشيائنا) لا يرتكز على شيء كبير، مضافا إلى ذلك أنه حتى (الأشياء) الموجودة في هذا العالم، كنا قد اشتريناها من مجتمعات تملك (أفكارا)." [1] ويقصد هنا أن وسائلنا المادية والتي تُكوِّن مفهوم القيمة عندنا بدل الأفكار، هي وسائل مستوردة في غالبها من الدول المتطورة التي تملك أفكارا إيجابية وفعالة ومتجددة تمكنها من صنع كل ما نحتاجه في حياتنا، ويَعتبر مالك بن نبي هذا التصور الخاطئ عاملا ذاتيا لغياب أي فعاليةٍ وقيمةٍ للفكرة في المجتمعات الإسلامية، كما أن هناك عامل خارجي آخر يتمثل في استراتيجية المستعمر في تفقير المجتمعات المسلمة فكريا، وتجفيف منابع الفكر لديها من خلال مَرَاقِبِه ومراصده الفكرية.

3-2- مَرَاقِبُ الإستعمار

يضع مالك بن نبي هنا مجهره على نقطة غاية في الخطورة، وتتمثل في دور المستعمر في ملاحظة وتوجيه حركة الأفكار في العالم الاسلامي، والعمل على رصدها وتحليلها وتوجيهها إلى الوجهة التي يريدها حتى تفقد فاعليتها وحركيتها وقدرتها على التأثير، وهذا ما يمكن أن يفسر جزءا مهما من الاستراتيجية الاستعمارية إبان احتلال

[1]– مالك بن نبي، **فكرة كمنويلث إسلامي**. المرجع السابق، ص 53–54.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

البلاد الإسلامية، من خلال التركيز على ترويج الخرافة وتقديسها ومحاربة العلماء واستبدالهم بالمستَلَبين فكريا وضعاف العقول، وإعلاء شأنهم في المجتمع. ويحلل مالك بن نبي هذه الاستراتيجية بدقة كبيرة فيقول:" فالاستعمار ليس من هواة الرقائق الفكرية أو المولعين بها، ولا هو من زارعي الأفكار أو مكتسبِيها، فله أفكاره الخاصة به، وهو يحتفظ بها لنفسه بغَيْرَةٍ، مفضلا بيع (أشيائه) لنا، ولكنة لكي يحافظ على احتكاره للأفكار **قد مَكّن على وجه الدقة في العالم لجهاز كامل من المراقب التي تستكشف الأفكار، وتتبع تحركاتها باهتمام بالغ**، واهتمامه بها اهتمام عملي محض، لأن الأمر ينحصر بالنسبة إليه في حماية ذلك الاحتكار لنفسه، وهذا يؤول عمليا إلى صياغة فنية واستراتيجية خاصة، ليس لدى العالم الإسلامي أي فكرة عنها. **والاستعمار لا يقنع بمجرد الاستعلام عن حركة الأفكار، فهذا شأن الفيلسوف إلا أن للاستعمار فلسفته الخاصة التي تتمثل في التخلص من الأفكار التي تضايقه، وفي الانحراف بها عن مراميها، بتوجيهها خارج المدار الذي أراد أصحابها استبقاءها فيه.** كيف يتخلص من فكرة معينة ؟ كيف ينحرف بها ويوجهها خارج مدارها ؟ ها هنا بالذات تتجلى عبقرية الاستعمار الجهنمية." [1]

ولعل هذا ما يؤكد لنا –إلى اليوم– حالة الاضطراب والتناقض الفكري المقيت بين المسلمين، وغياب الحصانة الفكرية وانتشار الأفكار المتطرفة والإرهابية التي تلصق بالإسلام زورا وبهتانا، فتكبد المسلمين ضعفا وخورا وفتورا في كل المجالات، ناهيك عن مظاهر الاستلاب والتثاقف والغزو الثقافي وضعف آلة الاجتهاد والإبداع لدى المجتمعات المسلمة المعاصرة على المستويين: الديني والدنيوي.

[1]– المرجع نفسه، ص 54–55.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

وكمثال على ضعف قاعدتنا المفاهيمية والفكرية التي ولدت داء اللافعاليتها، ما يقع بين المسلمين من تجاذب واستقطاب طائفي وفكري حاد، يؤدي في الغالب إلى التدابر والتقاتل وتفكك الروابط الاجتماعية، بسبب الاستغلال السيئ للمكونات الإثنية واللغوية والدينية والمذهبية داخل المجتمع الواحد، وعوض أن تكون هذه المكونات روافد لإثراء المشترك الوطني، تحولت إلى معاول للإقصاء والهدم، تغذيها جهات مشبوهة حريصة على اسبقاء حالة الاستقطاب العنيف والنفور بين المجموعات الإثنية واللغوية، بدل تكاملها واتجاه جهودها نحو مشاريع التنمية والبناء. إن الاختلافات الفكرية الموروثة في عالمنا العربي والإسلامي عن أحقابٍ تاريخية مختلفة، أسست لنشوء نزاعات متضادة في مجتمعاتنا المعاصرة المولعة باستحضار مآسي الماضي بأثقاله وخلافاته، فتولدت عنها سلوكات وانحرافات خطيرة، ومرد ذلك ليس لطبيعة الاختلاف الفكري الذي يمثل جبلة بشرية، وإنما لانحراف مسار هذه الأفكار وشحنها بالتأويلات والآراء التي تؤسس للتقسيم والفتنة دون استبصار للمآلات. وقد كونت هذه التباينات الفكرية مادة دسمة لمرَاقِبِ الاستعمار ومراصده الفكرية، للاستثمار فيها وتحويرها وتعديلها وفق ما يخدم أجنداته في استبقاء العالم الإسلامي على هامش الإنجاز الحضاري وتابعا للقوى المركزية بالعالم. وقد استفاض مالك بن نبي في كتابه "**الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**" في تحليل الخلفيات والعوامل الحقيقية للصراع الفكري في المجتمعات المسلمة، ووضع مِشرطه على البؤر المُغيّبَة لمنابع وأصول التنازع والتضارب الفكري، في المخيال الجماعي للشعوب المسلمة الذي انعكس سلبا على واقعها.

إننا نفتقد في مجتمعاتنا العربية والإسلامية لفقه المناظرات ومظاهر المجادلة بالتي هي أحسن، التي طبعت المشهد الفكري والعلمي في الأندلس وعصور الوهج الحضاري، نفتقد للاجتهاد العلمي الرصين، والمطارحات الأدبية الراقية والمساجلات الفكرية الهادفة،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

واحترام الاختلاف التنوعي والنقد البناء الموضوعي، وأدب الاعتراف بالخطأ، بعيدا عن ضروب الطعن والسب والتنقص والاحتقار، كمِثْلِ ما كان عليه الأسلاف الصالحون، فقد كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يقول: "الرجوع إلى الحق خير من التمادي في الباطل"، وأُثِر عن الإمام الشافعي رحمه الله قوله: "ما جادلت أحدا إلا وأحببت أن يُظهر الله الحق على لسانه." وكان الإمام مالك بن أنس رحمه الله يقول: "كلٌّ يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر؟ ويشير إلى قبر الرسول صلى الله عليه وسلم."

3-3- اللافعالية في المجتمع الإسلامي

والمقصود بذلك هو غياب "**المنطق العملي**"، وهذا الأمر مرهون بحجم ونوعية الأفكار الموجودة في المجتمعات الإسلامية، مما أدى إلى هدر واستنزاف الثروات والطاقات الاقتصادية والبشرية التي تزخر بها أكثر من غيرها، وذلك لغياب عنصر الفعالية الذي يحوّل هذه الطاقات إلى نتائج ومكتسبات ذات قيمة، وفي هذا الصدد يقول ابن نبي: "والواقع أننا عندما نحلل بعض النشاطات النموذجية في المجتمع الإسلامي، نلاحظ أن (التبديد) هو الغالب بكثير في معظم الأحيان على (المحصول). وبملاحظتنا لبعض النشاطات النموذجية في الجزائر، تمكنت في دراسة ظهرت لي منذ بضعة سنين، من الإشارة بالأرقام إلى تبديد مفرط لطاقتنا الاجتماعية، وتبذير مسرف وغير محسوس في وسائلنا، وهذا مظهر من مظاهر اللافعالية التي تعزى إلى العجز في أفكارنا." [1]

ويشير في سياق متصل إلى أن من أخطر ما يؤرق المجتمعات المسلمة إضافة إلى وهن (اللافعالية) هو تبرير هذا الوهن، بحجج واهية تؤدي إلى استبقائه وعدم علاجه، ويسمي مالك بن نبي هذه الحجج التبريرية بـــ"**الترهات**"، مثلا: فبدل أن نرجع أسباب

[1]– المرجع نفسه، ص 61.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

التدهور الاقتصادي إلى مشكل التبديد أو غياب أفكار جدية ومفيدة للاستثمار، نرجعه إلى الفقر وقلة الموارد أو أسباب أخرى بعيدة عن أصل المشكلة، يقول مالك بن نبي: "فنحن لا نعاني اللافعالية فحسب، ولكننا نخترع شيئا ما: (تُرَّهَةً) معينة لاستبقائها ! **ونحن عندما نتفحص عن كثب حياتنا الاجتماعية، نجد فيها ما لا يستهان به من الترهات من هذا القبيل بغية تبرير لا فعاليَّتنا.**" [1]

إننا كثيرا ما نرجع إخفاقاتنا وفشلنا في العديد من المجالات إلى أسباب غير جدية، فنبتعد عن التشخيص الدقيق للعلل، وبموازاة ذلك نبتعد أكثر عن تلمس منافذ الحل الصحيح، فتَعْظُمُ الكلفة المادية والبشرية والزمنية للانجاز، وتنكمش النتائج المحققة، وهذا هو داء "اللافعالية" الذي يطبع أغلب سياساتنا.

3-4- فكرة القابلية للاستعمار (The Colonizability –La colonisabilite)

لقد شكلت مشكلة الاستعمار الذي اجتاح البلدان الإسلامية في غضون القرنين التاسع عشر والعشرين، أرقا فكريا للمفكر مالك بن نبي، جعله لا يقنع بالمبررات الظاهرية التي قدمت لتفسير هذه المعضلة، بل راح يوغل في غياهبها ويحلل علاقاتها السببية للوصول إلى مكمن الداء الحقيقي، مستقرئا حال الأمة عبر مراحلها التاريخية، ليصل في نهاية المطاف إلى استكشاف داء **"القابلية للاستعمار"** الذي ينطبع في المخيال الجمعي للشعوب المستعمرَة، ويؤدي بها إلى الخنوع والوقوع فريسة سهلة المنال في يد جلادها، ففي كتابه "شروط النهضة" تحدث ابن نبي عما يسميه "مُعَامِلَيْنِ" فَعَلَا فِعْلَهُمَا في الإنسان المستَعمَر: "(المعامل الاستعماري) و(معامل القابلية للاستعمار)...**فالمعامل الاستعماري** هو عامل خارجي يفرض على الكائن المغلوب على أمره الذي يسميه

[1] – المرجع نفسه ، ص 62.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

المستعمِر –الأهلي– نموذجا محددا من الحياة والفكر والحركة، وحين يكتمل خلق هذا النموذج يظهر من باطن الفرد "**معامل القابلية للاستعمار**" وهو معامل يجعل الفرد يستبطن مفاهيم المستعمِر عنه ويقبل بالحدود التي رسمها لشخصيته هذا المستعمِر، وليس هذا فحسب بل يصبح يدافع عنها ويكافح ضد إزالتها ... فعامل القابلية للاستعمار كما يشرحه مالك بن نبي هنا هو العامل الداخلي المستجيب للعامل الخارجي، إنه رضوخ داخلي عميق لعامل الاستعمار، يُرَسِّخُ الاستعمار ويجعل التخلص منه مستحيلا."[1] ولهذا فهو يقول: "هذه الملاحظة الاجتماعية تدعونا لأن نقرر أن الاستعمار ليس من عبث السياسيين ولا من أفعالهم، بل هو من النفس ذاتها التي تقبل ذل الاستعمار والتي تمكن له في أرضها، وليس ينجو شعب من الاستعمار وأجناده إلا إذا نجت نفسه من أن تتسع لذل مستعمر، وتخلصت من تلك الروح التي تؤهلها للاستعمار."[2] وقد ركز مالك بن نبي على هذا المصطلح ونبه إليه،" لأن كثيرا من المسلمين يحاولون تعليق تخلفهم وضعفهم وقلة حيلتهم على الاستعمار، فأراد أن يرجع المشكلة إلى سببها الأول وهو القابلية للاستعمار، أي إلى الخسائر التي ألحقناها بأنفسنا قبل أن نتحدث عن الخسائر التي ألحقها بنا الآخرون، مطابقة لقوله تعالى: "**قل هو من عند أنفسكم**" (آل عمران: 165)"[3]

إن فكرة القابلية للاستعمار تشبه إلى حد بعيد في فحواها ما ذكره ابن خلدون رحمه الله من أن المغلوب مولع باتباع الغالب، وهي تقدم لنا معطى جديدا لاستكناه

[1]– محمد شاويش، **مالك بن نبي والوضع الراهن**. ط 1، دمشق: دار الفكر ، 2008، ص 12 –15.
[2]– مالك بن نبي، **شروط النهضة**. دمشق: دار الفكر، (د ت ن)، ص 33.
[3]– محمد العبدة، **مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي**. ط1، دمشق: دار القلم، 2006، ص 81.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

البعد النفسي والخلفية الاجتماعية التي تمهد لقبول المحتل في تعامل المجتمعات الاسلامية مع قوى الاستبداد والاستكبار، ورغم أن هذا الطرح يعتبر وجيها ويجسد حقيقة مدركة في واقع الأمة الإسلامية، إلا أنه يظل نسبيا من حيث مفرداته وعيناته، فهناك الكثير من نماذج مقاومة الاحتلال والانتفاضة على الظلمة في المجتمعات الإسلامية، واستبسالٌ منقطع النظير ببذل المهج والأنفس مقابل استرداد الكرامة والحرية المغصوبة، كما هو الحال في غزة وفلسطين وفي أقطار أخرى عديدة.

3-5- تحلل شبكة العلاقات الاجتماعية

إن الروابط الاجتماعية من منظور مالك بن نبي هي نتاج تأثير وتفاعل واندماج ثلاثة عوالم أساسية وهي:" عالم الأشخاص وعالم الأفكار وعالم الأشياء، ولكن هذه العوالم الثلاثة لا تعمل متفرقة بل تتوافق في عمل مشترك، تأتي صورته طبقا لنماذج إيديولوجية من (عالم الأفكار) يتم تنفيذها بوسائل من (عالم الأشياء) من أجل غاية يحددها(عالم الأشخاص)." [1]

"فتمزق شبكة العلاقات الاجتماعية هو في حقيقته تمزق لعالم الثقافة باعتبارها المحيط الذي يصوغ كيان الفرد، كما أنها مجموعة من القواعد الأخلاقية والجمالية والمنطق العملي والصناعة، مما يعود بالإخفاق على الجهود الاجتماعية والفردية، لأن كل علاقة فاسدة بين الأفراد تولد في ما بينهم عُقَدًا، كفيلة بأن تحبط أعمالهم الجماعية... فالعلاقة الفاسدة في عالم الأشخاص لها نتائجها السريعة في عالم الأفكار وفي عالم الأشياء." [2] فبناء شبكة العلاقات الاجتماعية مرده إلى عنصر أساسي هو " الإنسان أو تفاعل الفرد

[1]– مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**. المرجع السابق، ص 27.

[2]– عبد الله بن حمد العويسي، **مالك بن نبي: حياته وفكره**. ط1، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2012، ص 455.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

داخل المجتمع"، فالإنسان هو الذي ينتج الأفكار ويرسم الأهداف ويستغل الوسائل، وبفساد هذا العنصر الحيوي تفسد شبكة العلاقات داخل المجتمع، ومن مظاهر هذا الفساد على المستوى الفكري بحسب ابن نبي:

1/افتقاد الدقة في التفكير. 2/افتقاد العقل التطبيقي. 3/ الفصل بين النظر والتطبيق. 4/ افتقاد الحصانة أو الغفلة عن أساليب الصراع الفكري من قبل العدو.

أما على المستوى النفسي الاجتماعي فيظهر ذلك في:

1/الانفصال بين القول والعمل. 2/ الإحباط في الجهود. 3/ الشعور بالنقص. 4/ الانعزالية. 5/ الزهد في معرفة عالم النفوس. 6/ الانتكاس والخِواء. [1]

إن هذه السمات التي قدمها مالك بن نبي بعد تشريح الطبيعة الفكرية والنفسية والاجتماعية للمجتمعات الإسلامية، تمثل أسباب ركود العقل وتعطل آلة الإبداع والاجتهاد التي وضعت العالم الإسلامي في حالة من الغفلة وعدم القدرة على الحركة، ناهيك عن طبيعة الأنظمة السياسية التي تحكم أغلب دولنا العربية والإسلامية المتسمة بالاستبداد وعدم الرشد، والتي بدورها ساهمت في ترسيخ حالة الوهن النفسي واتهام الذات واعتبارها قاصرة عن إدراك منازل التطور والإبداع والارتقاء الحضاري.

3-6- الجمود وانعدام الدافعية نحو الإبداع والابتكار والتجديد

فتبعا لغياب الفعالية والأفكار العملية الخلاقة، يعتبر هذا الوصف كمحصلة منطقية للحالة السائدة في المجتمعات المسلمة خاصة العربية منها، بحيث " يظهر العجز

[1]- المرجع نفسه، ص 456.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

المطلق عن التقدم وتجاوز مراحل جديدة وعن الابتكار والإبداع... ومن مظاهر ذلك بحسب بن نبي:

1/السلبية. 2/ فقدان التوتر والطموح. 3/القعود عن الواجب والمطالبة بالحق. 4/ الخنوع والاستسلام للواقع. 5/الركون إلى الماضي والتباهي به. 6/ العقم والكساد. 7/ التبديد في نواحي النشاط. [1]

وفي هذا السياق يقول مالك بن نبي: "إن الذي ينقص المسلم ليس **منطق الفكرة** ولكن **منطق العمل والحركة**، وهو لا يفكر ليعمل بل ليقول كلاما مجردا، بل إنه أكثر من ذلك يبغض أولائك الذين يفكرون تفكيرا مؤثرا، ويقولون كلاما منطقيا من شأنه أن يتحول في الحال إلى عمل ونشاط." [2] إن مالك بن نبي يشير من خلاله قوله السابق إلى غياب المنطق العملي في المجتمعات الإسلامية، ومن مظاهر ذلك:

- سيادة الجدل العقيم والتنظير الذي نجده سمة غالبة في مناقشاتنا اليومية.
- طغيان عادة الوصف والنقد السلبي على التفكير في الحلول وتقديم البدائل.
- الاتكالية على الغير بدل الحرص على العمل والمبادرة.
- التفكير في الاستيراد بدل الإنتاج، وهو منهج سائد في الأفكار والعادات كما في السلع والأشياء.
- الشعبوية والديماغوجية في الطرح والتفكير والتبرير.
- المثالية في توصيف الحلول وعدم الانطلاق من فرضيات واقعية في التحليل.

[1] – المرجع نفسه، ص 457.

[2] – مالك بن نبي، **مشكلة الثقافة**. ط14، دمشق: دار الفكر، 2009، ص 76.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

➢ التركيز على الجانب النظري والحشو المعرفي في المناهج الدراسية من الابتدائي إلى الجامعي، وغياب الملمح التطبيقي في ممارسة العلوم.

➢ غياب التفكير النقدي وعدم الاهتمام بتنمية المدارك والعمليات العقلية والتحفيز على الإبداع.

3-7- انقلاب سلم القيم

فوصول المجتمع إلى مرحلة انقلاب القيم بحيث يغدو سير الأمور بشكل عكسي هو الذي يبين درجة أزمة الثقافة فيه، وقد أخبر النبي صلى الله عليه وسلم بظهور ذلك الانعكاس في المجتمع الإسلامي، فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "**سيأتي على الناس سنوات خداعات يصدق فيها الكاذب ويكذب فيها الصادق ويؤتمن فيها الخائن ويُخَوّن فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة**". **قيل : يا رسول الله وما الرويبضة؟ قال: "الرجل التافه يتكلم في أمر العامة.**" (رواه الإمام أحمد في المسند) ومن العوامل المؤدية إلى هذه الحالة الاجتماعية:

1/الصبيانية في التفكير. 2/التناقض. 3/ العفوية والارتجال. 4/الخيانة والتحريف. 5/فقدان التوازن. 6/الغموض والإبهام. 7/ الثرثرة والاعتباط. 8/ التعفن.[1]

ومن مظاهر انقلاب سلم القيم وفقدان بوصلة الأولويات في المجتمعات الإسلامية، تقديس عالم الأشياء والأشخاص على عالم الأفكار، واحتقار المعرفة وأصحابها والشعور بالدونية والتصاغر أمام الذات، والإحساس بالنقص تجاه الغرب، والانسلاخ من قيم الهوية، والتقليد الأعمى للمظاهر السلبية الموجودة لدى الآخرين دون الإيجابية منها،

[1]– عبد الله بن حمد العويسي، المرجع السابق. ص 459.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

وعدم الاعتزاز بالقيم الأصيلة واللغة والتاريخ الوطني، وهذه المرتكزات هي بمثابة الملاط الذي يلتئم به المجموع، وتُرَصُّ به كافة جهود الناس وقواهم لتصبح كجدار متماسك، يجسد كيان المجتمع ليتوجه برمته نحو بناء مؤسساته وتحقيق ازدهاره ومجده.

3-8- الوثنية

"فالمجتمع في عصر الانحطاط يبدأ في العودة إلى الوثنية، ويتجلى ذلك بعد الفكرة، فعندما تغيب الفكرة يظهر الصنم، ومجتمع ما بعد الموحدين مجتمع ذو بعدين: بُعدُ الشخص وبُعدُ الشيء، أما بعد الفكرة فهو مفتقد، ويتمثل ذلك في ظهور الجهل، والجهل في حقيقته وثنية، فالله قد سمى الوثنية جاهلية، ومظاهر تلك الوثنية في عالم ما بعد الموحدين تتجلى في:

1/التشخيص والغلو. 2/ الشكلية. 3/ التقليد الأعمى. 4/ المادية اللاشعورية. 5/ تضخم الذوات وظهور مرض التعالم. 6/ الخيال وسيطرة الأوهام. 7/المكابرة وعدم الاعتراف بالخطأ. 8/ الشهوانية.

ويقصد مالك بن نبي أن غياب عالم الأفكار سيؤدي إلى انحصار المجتمع في عالمين فقط هما: عالم الأشخاص وعالم الأشياء، ومن ثم فسيكون دوران المجتمع حول الأشخاص أو حول الأشياء، وذلك نوع من الوثنية يحدث بسبب غياب عالم الأفكار، لذا فهو يقول: عندما تغرب الفكرة يظهر الصنم." [1]

فمالك بن نبي لا يقصد بمصطلح الوثنية أن المجتمع الاسلامي قد رجع إلى عبادة الأصنام في صورتها القديمة كهبل واللات والعزى ومناة، ولكنها صورة حديثة لتجليات معنى الوثنية في ملامح جديدة، كالتقديس والتعظيم المفرط للأشخاص والأشياء وصولا

[1]– المرجع نفسه. ص 460.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

إلى حد التأليه والتمجيد المبالغ، والتعصب الشرس للمذاهب والآراء والأشخاص، وهذا راجع –إضافة إلى مخالفة الشرع– إلى تغييب دور العقل في الحياة، مع أن ديننا الإسلامي قد نهانا عن كل مظاهر التأليه أو الإطراء حتى في حق النبي صلى الله عليه وسلم، كما في قوله:" **لَا تُطْرُونِي كما أَطْرَتِ النَّصَارَى ابْنَ مَرْيَمَ؛ فإِنّما أَنَا عَبْدُهُ، فَقُولوا: عبدُ اللّهِ وَرَسُولُهُ.**"(رواه البخاري)

4- المقومات الحضارية لبناء المجتمع في العالم الإسلامي عند مالك بن نبي

بعد استعراض أهم المعوقات النفسية والفكرية لبناء المجتمع في العالم الإسلامي، نستنتج أن كثيرا من هذه المعوقات نابع من ذات الفرد وداخله، ولها ارتباط وثيق بطبيعة تصورنا لما حولنا من أحداث وفلسفتنا تجاه الحياة، وهذا التشخيص الدقيق يعتبر مقدمة أساسية لتصحيح الخلل ووضع العربة على السكة، والعمل الجاد لإعادة هندسة الأفكار والسلوكات وتنقيتها من الرديء المتهالك، فكل تغيير هادف وجوهري ينطلق حتما من تغيير الأنفس وجِبِلَّاتِها. ومن خلال تتبع أفكار مالك بن نبي نخلص إلى تقديم هذه الكليات الأساسية لبناء مجتمع وظيفي وتحقيق الفعالية الحضارية:

4-1- بناء المجتمع ينطلق من بناء الفرد وتحديد وظيفته

يتطلب أي تغيير اجتماعي في رأي ابن نبي" العمل على الانتقال بالفرد من كونه فردا إلى أن يصبح (شخصا)، وذلك بتغيير صفاته البدائية التي تربطه بالنوع، إلى نزعات اجتماعية تربطه بالمجتمع." [1] أي "تحويله من مجرد كتل من الاستعدادات الفطرية والقوى والأفكار المعزولة، إلى شخصية متنامية وذاتٍ واعية لهويتها الاجتماعية ومنتظمة في إطار المجموع. ومن هذه الزاوية فإن عالم الأشخاص يشكل عنصرا مهما في العملية الحضارية،

[1]– مالك بن نبي، **ميلاد مجتمع**. المرجع السابق، ص 31.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

حيث تتفاعل وتنمو في وسطه وبواسطته الأفكار المتوارث منها والمبتدع، لتصنع عالم الأشياء." [1]

فمالك بن نبي يحرص على تحديد الوظيفة الحضارية للإنسان في وعيه بدوره واضطلاعه بمهماته في البناء والتنمية والتجديد، وهذا الذي يحوله من مجرد كتلة بشرية خامدة هامدة لا همَّ لها سوى الأكل والشرب والترفيه، إلى شخص له أفكار وأهداف ومهام نبيلة في مجتمعه، فهو يركز في تحديده لمفهوم "الشخص" على البعد الوظيفي والحضاري الذي خلق لأجله الإنسان (**وظيفة الاستخلاف**)، منطلقا مما ذكره الله سبحانه في القرآن الكريم عن مقصد استخلاف الإنسان في الأرض وهو العدل والإصلاح وإقامة العبودية لله رب العالمين، كقوله تعالى: "**وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالأِنْسَ إِلاَّ لِيَعْبُدُونِ**" (سورة الذاريات الآية: 56) وقوله" **هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ ذَلُولًا فَامْشُوا فِي مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا مِن رِّزْقِهِ وَإِلَيْهِ النُّشُورُ.**" (سورة الملك الآية: 15) وقوله: "**فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ.**" (سورة الجمعة الآية: 10) وقوله "**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ.**" (سورة التوبة الآية: 105).

4-2- الانتقال من عالم الأشياء إلى عالم الأفكار(الفعالية)

يركز مالك بن نبي في نظريته لبناء المجتمع على الدور المحوري والاستراتيجي للأفكار في تأسيس المجتمعات أو سقوطها، ويكون مجال التركيز هنا على **الأفكار التي تبعث على الحركة والعمل والتجديد**، فالقرآن الكريم نزل في بيئة ميتة اجتماعيا وعلميا

[1] – فوزية بريون، **مالك بن نبي: عصره وحياته ونظريته في الحضارة**. ط1، دمشق: دار الفكر، 2010، ص 200. (بتصرف)

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

وسلوكيا، بسبب نوعية الأفكار المستحكمة في النفوس والمعتقدات والتي تظهر في شكل طقوس وممارسات فاسدة، ومن خلال ما جاء به من قيم وأفكار حية أحدثت تغيرا في الأنفس والطباع والقناعات والسلوكات السلبية، فاستطاع أن يقوم بثورة فكرية انتهت بتخليص المجتمع الجاهلي من أفكاره القاتلة والميتة وحولته إلى مجتمع عملي رسالي.

وقد سبقت الإشارة أن من العلل الاجتماعية التي تؤرق المجتمعات المسلمة المعاصرة هي تقديس عالم الأشياء والمادة على عالم الأفكار، في حين أن الأفكار هي التي تبني المجتمعات وتؤسس لحضارتها، ويأتي تأكيد مالك بن نبي على دور الأفكار "باعتبارها المبدأ للحركة والحياة ويميزها عن الوثن (الذي هو مؤشر الخمول والموت)، إنها تمارس طاقتها الخفية في الضمائر والتي هي الروح في بنية المجتمع لذا فهي الروح التي تنسج التناغم والفاعلية والتماسك في مسيرة الحياة." [1] كما يركز مالك بن نبي على الفكرة البنائية التي تحفز النفس وتدفعها للبناء لا الركود أو الهدم أي مبدأ فعالية الأفكار، وهذا كان سبب النهضة اليابانية والألمانية في أعقاب الحرب العالمية الثانية التي دمرت عالم الأشياء لهذين البلدين دون عالم الأفكار، التي كانت السبب في الاستئناف الحضاري لهذين البلدين.

فمالك بن نبي يؤكد على أن الأفكار بما تحتويه من عناصر فعالة هي أساس البناء الحضاري لأي أمة وهي شرط لازم لقيام أي مجتمع، وقد كانت لبنة تأسيس المجتمع المسلم في بداياته الأولى، التي لم يكن يملك فيها من عالم الأشياء شيئا يذكر، بقدر ما كان يمتلك من عالم القيم والأفكار ما بوّأه لتأسيس حركة فعالة عبر الزمن، توّجت

[1] – عمر بن عيسى، **مالك بن نبي في تاريخ الفكر الاسلامي وفي مستقبل المجتمع الاسلامي**. ط1، دمشق: دار الفكر، 2007، ص 35.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

بميلاد مجتمع مسلم رسالي اتسعت دائرة تأثيره بسرعة قياسية إذا ما قورنت بحياة المجتمعات والحضارات ونموها وانتشارها على مجرى التاريخ.

4-3- تنمية المجتمع ترتكز على مقوماته الذاتية وليس باستيراد الأفكار والأشياء

إن بناء مجتمع وظيفي يقتضي كما يقول مالك بن نبي:" تجنب الاتكال على الغير وتحاشي أسلوب الاستيراد والتكديس، فلا يتحضر شعب إلا إذا امتلك وعيا حضاريا يميز بين البناء والتكديس وبين الإنتاج والاستيراد، فالبناء وحده هو الذي يأتي بالحضارة لا التكديس ولنا في أمم معاصرة أسوة حسنة. إن علينا أن ندرك بأن تكديس منتجات الحضارة الغربية لا يأتي بالحضارة." [1] فاستيراد القوالب الجاهزة لا يؤسس مجتمعا ولا حضارة، وإنما يعطيك ركاما أو تكديسا، وينمي في نفوس أفراد تلك الشعوب صفات الاتكالية وعدم المسؤولية والجمود الفكري والعملي.

ولهذا فقد أكد مالك بن نبي على هذه الحقيقة في أكثر من موضع، منوها بالتجربة الألمانية عندما انطلقت من رأسمالها الحقيقي الموجود في رأس كل ألماني، فقد قدم مالك بن نبي تحليلا منطقيا لأسباب نهضة ألمانيا في العصر الحديث بعدما استنزفت الحرب العالمية الثانية كافة مقدراتها المادية، إلا أنها استطاعت بما تملكه من رصيد فكري حيوي وفعال، إعادة ما فقدته من "عالم الأشياء" وزادت عليه، حيث يقول ابن نبي: "يمكننا بل يتعين علينا أن نقول: إن الإنسان هو الذي يحدد في النهاية القيمة الاجتماعية لهذه المعادلة (**إنسان + تراب + وقت = حضارة**) لأن التراب والوقت لا يقومان –إذا اقتصر عليهما فحسب– بأي تحويل اجتماعي. **ونحن إذا ما تساءلنا إذن: بأي شيء أَنْهَضَ**

[1]– جلالي بوبكر، **البناء الحضاري عند مالك بن نبي**. الجزائر: دار المعرفة، د ت ن، ص 97.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

الإنسانُ الألماني وضعية بلاده أثناء هذا العقد المنصرم من الزمان؟ نكون ملزمين بالجواب عن سؤالنا هذا بطريقة واحدة لا غير، وهي أن أفكاره –وأفكاره فحسب– هي التي أتاحت له أن يحقق ذلك النهوض. وهذا أمر حقيقي –وحقيقي بصورة لا مجال للريب فيها– سيما وأن حرب 1939–1945 قد خربت عمليا (عالم الأشياء) في ألمانيا، بمصانعه وآلاته ومناجمه وبنوكه ومختبراته، فكل هذه الأشياء كانت قد دُمرت وأتلفت، إذن فقد كانت ألمانيا على وجه الدقة –وبطريقة تكاد تكون رياضية– لا تملك سنة 1945 أي مجموعة من (الأشياء) ولكن مجموعة من (الأفكار) فحسب، وهي قد كونت من جديد وابتداء من هذا "الرأسمال المفاهيمي" كل حياتها الاجتماعية، واحتلت مجددا مكانتها السياسية في العالم. إن تجربتها بالنسبة إلينا لا تقدر بثمن، فهي تتيح لنا أن نستخلص بطريقة علمية، أن **قيمة مجتمع معين في فترة ما من تاريخه لا يعبر عنها بمجموعة الأشياء في هذا المجتمع ولكن بمجموعة أفكاره."** [1]

وبغياب هذه الفعالية الفكرية لدى العالم الإسلامي سقط في شراك المستدمر، وما زال إلى اليوم يرزح تحت ضربات الجهل والحروب والتفرقة ويعاني ويلات بُعدِهِ ونُكوصه عن الأخذ بأسباب نهوضه، وهو الاستثمار في "عالم الأفكار" بدل الانبهار بـــ "عالم الأشياء"، التي هي محصلة طبيعية لتطور عالم الأفكار، ويؤكد مالك بن نبي هذه الحقيقة قائلا:" **إن الأفكار لا تتمتع في المجتمع الإسلامي بقيمة ذاتية، تجعلنا ننظر إليها بصفتها أسمى المقومات الاجتماعية، وقوة أساسية تنظم وتوجه قوى التاريخ كلها، وتعصمها بذلك من محاولات الإحباط مهما كان نوعها."** [2]

[1] – مالك بن نبي، **فكرة كمنويلث إسلامي**. دمشق: دار الفكر، 2000، ص 53.

[2] – مالك بن نبي، **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**. ط9، دمشق: دار الفكر، 2009، ص 82.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

بل إن من المفارقات السلبية في عالمنا العربي والإسلامي الحديث، هو احتقار المجالات والوظائف الفكرية على المستوى الرسمي وحتى الشعبي، واعتبارها مجالات غير ربحية وليست قمينة بأي استثمار، كالتعليم والطب والإعلام وعلوم السياسة والقانون والعلوم الإنسانية والاجتماعية والنفسية والتربوية وغيرها، إذ لا تكاد تجد هذه العلوم الحظوة والاهتمام الذي يوازي أهميتها في بناء الإنسان وهندسة الأفكار والتوجهات الاستراتيجية للأمم والحضارات، وتأسيس الأفكار والقيم الإيجابية التي تبعث على الحياة والبناء والحركية والتطور.

4–4– ضرورة التطهر من "الأفكار القاتلة" و"الأفكار الميتة"

يقسم مالك بن نبي الأفكار التي تعيق حركية المجتمع إلى: **أفكار قاتلة وأفكار ميتة**، فالأفكار القاتلة هي الأفكار التي تقتل في الفرد حركيته ودافعيته للبناء والتجديد، هي أفكارٌ تبعث على الخمول والكسل وقهر الإرادة، وتستنهض بواعث الإجرام والأحقاد والنزاع بين أفراد المجتمع فتؤدي به إلى الاقتتال والتفكك أو ضياع مقدراته وجهوده في مساعي غير ممنهجة. أما الأفكار الميتة فهي ما يجول بالخواطر والمعتقدات من أفكار فاقدة للحياة، عديمة الفعالية كالخرافات والشعوذة والقابلية للاستعمار، فهي ترسخ في النفس الشعور بالخمول والنقص والتبعية للغير وعدم الثقة في الذات، وفي هذا السياق يقول مالك بن نبي: "إن كل مجتمع يصنع بنفسه الأفكار التي ستقتله، لكنها تبقى بعد ذلك في تراثه الاجتماعي (أفكارا ميتة) تمثل خطرا أشد عليه من خطر (الأفكار القاتلة)، إذ الأولى تظل منسجمة مع عاداته، وتفعل مفعولها في كيانه من الداخل، إنها تكوّن –ما لم نُجْرِ عليها عملية تصفية– الجراثيم الفتاكة التي تفتك بالكيان الإسلامي من الداخل،

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

وهي تستطيع ذلك لأنها تخدع قوة الدفاع الذاتي فيه." [1] "هذه العادات والأفكار... التي تُكَوّنُ الرصيد السلبي الموروث عن عهود الانحطاط، هي التي تخلق في النفس الإنسانية والمجتمع مركب القابلية للاستعمار، فسبب الكثير من عوامل التعطيل والركود التي يعانيها العالم المتخلف، إنما تنطلق من ذاته باعتباره قابلا للاستعمار." [2]

ولبيان مدى أهمية ذلك عقد مالك بن نبي مقارنة مفيدة بين المجتمع الياباني والعالم الإسلامي"فإنهما دخلا المدرسة الغربية في الوقت نفسه تقريبا– حوالي سنة 1860– ولكن الحقيقة التاريخية التي لا جدال فيها هي أن النتيجة اختلفت تماما، إذ نجد بعد قرن "معجزة اليابان" في ميدان الفن والصناعة والاقتصاد، ومن طرف المجتمع الإسلامي نجد دون ريب، مجهودا لا ينكر فيما نسميه "النهضة" ولكنه مجهود تشله "الأفكار الميتة" الموروثة من عهد ما بعد الموحدين. فمعجزة اليابان لا تفسر قطعا إلا بموقف فيه فعالية أكثر، اتخذه اليابان من الثقافة الغربية لأنه تخلص من الأفكار الميتة الموروثة من عهد" الشوغون." [3]

ويفسر بن نبي في موضع آخر سبب هذا التفاوت بين التجربتين اليابانية والإسلامية، وهي أن اليابان وقف من الحضارة الغربية موقف التلميذ الذي تعلم من تجاربها وعلومها واكتسب منها خبرة ذاتية، أما العالم الإسلامي فوقف منها موقف الزبون، المستوردِ لأشيائها وأفكارها دون أن يكتسب شيئا من تجربتها، وهذا ما جعل البعض يعتبر أن ثراء العالم الإسلامي واكتشافه لمورد النفط كان نقمة عليه، حرمته من

[1]– مالك بن نبي، **في مهب المعركة إرهاصات ثورة**. دمشق: دار الفكر، 2002، ص 130.

[2]– الطاهر سعود، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**. ط1، بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر، 2006، ص 149.

[3]– مالك بن نبي، **في مهب المعركة إرهاصات الثورة**. المرجع السابق، ص 134.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

نعمة التفكير والتدبير التي اكتسبها اليابان من تحديات طبيعته القاسية وتاريخه وقيمه، التي رسخت فيه مبدأ تقديس العمل والاعتماد على الذات.

4-5- التركيز على القيم والضوابط الأخلاقية كمعالم موحدة للجهد والمنهج والهدف

يعطي مالك بن نبي أهمية قصوى للقيم والمبادئ الأخلاقية في عملية بناء المجتمع ورَصْفِ وتوحيد نفوس أفراده وتطلعاتهم، ويستشهد في ذلك بالآية الكريمة "**وألف بين قلوبهم لو أنفقت ما في الأرض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف بينهم إنه عزيز حكيم**" (سورة الأنفال: الآية 63) فللتوجيه الأخلاقي أثر عميق في تحريك غريزة الاجتماع والأُنس التي أودعها الله في النفس البشرية، وهو ما عبر عنه ابن خلدون بقوله: الإنساني اجتماعي بطبعه، ويؤكد مالك بن نبي دور القيم الأخلاقية في البناء المجتمعي والحضاري من خلال ما يلي:

1- إن مجتمعا معينا لا يمكن أن يؤدي نشاطه المشترك دون أن توجد فيه شبكة العلاقات التي تؤلف عناصره المختلفة النفسية والزمنية.

2- وأن كل علاقة هي في جوهرها قيمة ثقافية يمثلها القانون الخُلُقي والدستور الجمالي الخاص بالمجتمع.[1]

ويقصد مالك بن بني بالقيم الأخلاقية المنظومة الفكرية والفنية والجمالية التي تبنى عليها العلاقات الاجتماعية في أي مجتمع، أي ما يشاهده الآخرون في سلوكاتنا والصورة التي نُسَوِّقها للعالم عن ثقافتنا وحضارتنا، وتنعكس هذه القيم على حياتنا ومدى دافعيتنا نحو الخير أو الشر، نحو البناء أو الهدم، نحو الإصلاح أو الإفساد." فقوة التماسك بين

[1]– جلالي بوبكر، المرجع السابق، ص 87.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

أفراد المجتمع الواحد الناشئة عما تفعله القوانين الأخلاقية داخل المجتمعات، يقدم صورة جمالية تختلف عن تلك الصورة التي يظهر عليها مجتمع ممزق في طريقه إلى الأفول، فالقبيح لا يوحي بالخيال الجميل، والجمال يمثل أحد مكونات المنظومة الثقافية، والثقافة تمثل المحيط الذي يعكس حضارة المجتمع... والجمال ينبغي أن يُشَاهَدَ في المجتمع المتحضر في جميع الأماكن والمجالات، في الشارع والبيت والسينما والمسرح، وقيمة الجمال تكبر في عين "مالك بن نبي" فهو وجه الوطن في العالم، فلنحفظ وجهنا لكي نحفظ كرامتنا ونفرض احترامنا على جيراننا الذين ندين لهم بنفس الاحترام." [1]

إن التركيز على البعد الأخلاقي والجمالي في رؤية مالك بن نبي لبناء المجتمع الإسلامي، تعتمد أساسا على روح الشريعة الإسلامية ومقاصدها السمحة التي وضعت أسس التعايش الاجتماعي والتنظيم المدني للمجتمع، على قاعدة الحقوق والواجبات والعدل والإحسان كما دلت عليه الآية الكريمة "**إن الله يأمر بالعدل والإحسان وإيتاء ذي القربى وينهى عن الفحشاء والمنكر والبغي يعظكم لعلكم تذكرون.**" (سورة النحل:90) وقوله "**وأحسنوا إن الله يحب المحسنين**" (سورة البقرة: 195).

4-6- وجوب تفعيل وتحديث القيم الإسلامية بصورة عملية وعالمية

ينبه مالك بن نبي إلى ضرورة الارتقاء بالمفاهيم والقيم الإسلامية إلى مستوى العالمية لتحقيق مقصود الآية الكريمة "**وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين**"(سورة الأنبياء: 107) وذلك بتحديث طرائق التفكير ووسائل الدعوة ونفخ روح الفعالية فيها، وعدم الجمود وغلق باب الاجتهاد والانكفاء على الذات، حيث يقول ابن نبي: "ولا يكفي أن نعلن عن قدسية القيم الإسلامية، بل علينا أن نزودها بما يجعلها قادرة على مواجهة روح

[1]– المرجع نفسه. ص 87– 88.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

العصر، وليس المقصود أن نقدم تنازلات إلى الدنيوي على حساب المقدس، ولكن أن نحرر هذا الأخير من بعض الغرور الاكتفائي والذي يقضي عليه."[1] إن الذي يحتاجه العالم الإسلامي اليوم هو أن يتحلى بروح الفعالية والقدرة على الارتقاء إلى قيم الإسلام ومقاصده السامية، وآفاقه الراقية المنسجمة مع متغيرات الزمان والمكان وحاجات الإنسان، تلك القيم التي توقد جذوة الابتكار والنشاط والعمل في ذات كل فرد وفي كيان المجتمع، وتنفي عنه صفة الاتكال والكسل.

وقد ربط ابن نبي فلسفة الحضارة بفعالية الأفكار ربطا تلازميا سواء في تحديد هوية الحضارة، أو في مدى تدخلها في أحوال الحضارة، ومعيار غنى المجتمع أو فقره بالنسبة له ليس بما يملكه من أشياء، ولكن بما يملك من أفكار، وكل خلل يحدث للمجتمع لابد من مراجعة علاقة هذا المجتمع بأفكاره، وفي هذا يقول ابن نبي: "إننا في كل مرة نقف فيها أمام مظهر من مظاهر اللافعالية في المجتمع الإسلامي، نرى أنفسنا مجبرين على ربطه ب"عالم أفكارنا" لأن في هذا العالم تكمن أدواؤنا."[2]

وفي هذا السياق يؤكد مالك بن نبي على عنصر "الفعالية" في بناء المجتمع أي قدرة الأفراد على استثمار طاقاتهم الاجتماعية والاقتصادية بالكفاءة اللازمة في الزمن المناسب، فأمارة صحة الفكرة هو نجاحها في الواقع وقدرتها على إحداث التغيير، وهذا مرهون بنوعية الأفكار وإرادة الأفراد والجماعات ومنهجيتهم في العمل والبناء، يقول ابن نبي:" فالمجتمع الإسلامي مدعوٌّ لأن يستعيد تقاليده العليا ومعها حس الفعالية، ومن أجل أن يثبت للعالم بمنطق العصر بأن أفكاره صحيحة لا توجد غير طريقة واحدة: هي إثبات

[1]– مالك بن نبي، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**. دمشق: دار الفكر، 2002، ص 112.

[2]– مولاي الخليفة لمشيشي، المرجع السابق. ص 128.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

قدرته على تأمين الخبز اليومي لكل فرد." [1] أي أن مصداقية العالم الإسلامي وقدرته على النهوض بمسؤولية الاستخلاف، تتمثل في تقديم حلول عملية مبتكرة لحل المشاكل الاجتماعية والاقتصادية والسياسية للمواطنين، وترقية أساليب حياتهم والتأقلم مع مقتضيات العصر ومتغيراته.

وتعتبر المصادر التبعية التي أسس لها العلماء المجتهدون بهدف معرفة الأحكام الشرعية للمسائل المستجدة، إبداعا فذا في كيفية تفعيل روح الإسلام ونصوص الشريعة وتجسيد مقاصدها واستنباط أحكامها وعللها، لإدراك الأحكام الشرعية للمسائل التي لا نص فيها والمستجدة مع تغير الزمان والمكان وأحوال الإنسان، وحتى لا تبقى الشريعة قاصرة عن استيعاب حاجات الناس وحل مشكلاتهم المتجددة، فوضع الأصوليون مصدر القياس والإجماع والمصالح المرسلة والاستحسان والاستصحاب، وفصّلوا مباحث الاجتهاد وأدواته، وكل ذلك مثّل وثبة فكرية في تاريخ الفقه الإسلامي وإبداعا أصيلا لجعل الشريعة — نصا ومقصدا– تتواءم مع متطلبات وأحكام كل عصر ومِصر.

4-7- التخلص من البؤر السرطانية لداء القابلية للاستعمار

يقول مالك بن نبي: "فالاستعمار لن تكون له القدرة على التصرف في طاقاتنا الاجتماعية والاقتصادية ... لو أننا تحررنا نفسيا من عُقَدِنا التي تجذبنا نحوه فيسخرنا لمصالحه، فالقضية على هذا الأساس هي أنه كي نتحرر من أثر هذا الاستعمار ينبغي أن نتحرر من سببه، وهو القابلية للاستعمار ولكي نتزعه من الأرض يجب أن نتزعه عن الأذهان أو على الأقل أن نتزعه عن الأذهان بعد نزعه من الأرض." [2]

[1]– المرجع نفسه. ص 113.

[2]– الطاهر سعود، المرجع السابق. ص 152.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

إن القضاء على داء القابلية للاستعمار يتطلب تغييرا في الذات وإصلاحها والثورة على القوالب الموروثة التي تبعث على الركود لا التجديد، وهذا كله يتطلب نمطا فكريا متميزا وسلوكا حديثا وجيلا جديدا مغايرا في تفكيره لسابقه، يقول الأستاذ عمر مسقاوي رفيق درب مالك بن نبي: "فالخروج من القابلية للاستعمار ومن عصر ما بعد الموحدين يتطلب جيلا جديدا ومعايير جديدة، ويبدو لنا كما هو ظاهر في مقدمة كتابه (وجهة العالم الإسلامي) أن ابن نبي آثر وضع الجزء الثاني من كتابه تحت أبصار جيل جديد في تكوينه الفكري والتربوي...فالشفاء من مرض القابلية للاستعمار كما رأى في تجربته في القاهرة ثم في الجزائر فيما بعد، يتطلب وعيا أكبر في الحياة الداخلية للفكر الإسلامي في العصر الحديث، خصوصا في الجانب التربوي الذي اهتم به في كتابه (شروط النهضة) ليسلك الفكر الإسلامي مداه العالمي، وأول طريقه هو تصفية الفكر الإسلامي من القابلية للاستعمار نفسيا، ثم من تبعية محور واشنطن–موسكو كما شرحه في كتابه (الفكرة الإفريقية الآسيوية)."[1]

إن مركب القابلية للاستعمار شكل أحد أهم مخلفات الاستدمار غير المرئية، وهي أخطر استراتيجياته الهادفة لاستبقاء التبعية النفسية والفكرية للشعوب المحتلة تجاهه، فتبقى علاقته بها علاقة المركز بالهامش، والتابع بالمتبوع، وعليه فأول طريق لتحقيق الاستقلال الاقتصادي والسياسي هو تحقيق الاستقلال الفكري والثقافي واللغوي، والتحرر نفسيا من عُقَدِ الاستعمار التي نفثها في النفوس والعقول، لامتلاك الإرادة على التغيير، والاستقلالية في التدبير، والحكمة والإبداع في التفكير.

[1] – عمر كامل مسقاوي، **في صحبة مالك بن نبي مسار نحو البناء الجديد**. ط1، دمشق: دار الفكر، 2013 ،ص 1269.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

الخاتمـــة:

لقد استطاع مالك بن نبي رحمه الله أن يقدم مقاربة تفسيرية شاملة للأسباب الحقيقية الخفية التي تعيق بناء المجتمع في العالم الإسلامي، ووضع ميسمه على العوامل غير الظاهرة التي تقف حجرة عثرة في سبيل تنمية وبناء المجتمع في العالم الإسلامي. وبالنظر للتجارب الإصلاحية والتنموية لبعض الدول الرائدة قديما وحديثا كاليابان وألمانيا وسنغافورة وتركيا وماليزيا وباقي دول العالم المتقدم، نجد أن بينهم قاسما مشتركا في منطلقاتهم المنهجية نحو الإقلاع الحضاري والبناء الاجتماعي، يتمثل في أولوية بناء الإنسان قبل العمران، والفكرة قبل المادة، إذ أن رسم السياسات الإصلاحية والتأسيس لبناء مجتمع جديرٍ بتحقيق القفزة التنموية والمعراج الحضاري، يتطلب تأهيل الإنسان ليمتلك وعيا وروحا حضارية تجعله في مستوى التطلعات التنموية أداءً وثقافةً وتفكيراً.

وإثراءً لما سبق تناوله في هذه الدراسة يقترح الباحث التوصيات التالية:

1- ضرورة استقراء العوامل والمسببات العميقة للجمود الفكري بالمجتمعات الإسلامية والعربية عبر مساراتها التاريخية، وتحديد مصادر تغذية واستمرارية العجز الفكري الذاتي والخارجي بها، فلا يمكن بناء أي تحول حضاري دون وعي حقيقي بعلل الركود ومصادر التخلف.

2- العمل على إحياء حركية العقل الجمعي، واستعادة ثقته بقدراته الذاتية على البناء والارتقاء، وذلك بتفعيل دور المراكز الإقليمية والدولية والوطنية للأبحاث والمعارف والدراسات المختلفة، وتشجيع الجوائز والمسابقات والمؤتمرات العلمية على منوال تجربة مؤتمرات الفكر الإسلامي في الجزائر.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

3- تغيير الجِبلَّاتُ الرديئة للنفوس؛ الموروثة عن عهود الانحطاط، والمرسخة لمركب القابلية للاستعمار والاستعباد، والتشبع بالقيم الإيجابية والفعالة المحفزة على العمل والجودة كمَعالَمَ هادية للفكر والإرادة.

4- وذلك بتطوير أداء المؤسسات التعليمية وترقية الخطاب المسجدي وتولية الأكفاء على الخطابة والإمامة، وإحياء دور الأسرة والمنظمات المدنية في مجال الفكر وبناء الانسان.

5- وضع استراتيجية مجتمعية شاملة قائمة على الوعي والتنمية الفكرية وتشجيع القراءة والاستثمار في المورد البشري وتنمية التفكير الإبداعي في مناهج التعليم خصوصا.

6- الاهتمام بالتعليم والمناهج الدراسية والعمل على خلق التنافسية والجودة في الأداء التعليمي وإصلاح البيئة التعليمية العامة (السياسات العامة، البيداغوجيا، الأساتذة، النظام التعليمي).

7- ضرورة الاهتمام الرسمي بالوظائف التي تضطلع ببناء الإنسان وتنمية الوعي والمعرفة والتمكين لها مجتمعيا ووظيفيا وماديا وتدريبيا، كالأساتذة والمربين والمعلمين والأطباء والأئمة والإعلاميين...الخ.

8- إن الوصول إلى بناء مجتمع وظيفي فعال في العالم الإسلامي يتطلب التحرر من الأدواء والعقد السلبية التي تكبل الإرادة الفردية والجماعية كالقابلية للاستعمار والأفكار القاتلة والميتة، والاستثمار في رأس مال الأفكار بصورة فعالة وعملية (منهج التصفية ثم التحلية).

9- ضرورة تحديث طريقة التفكير والاهتمام بالتجديد والتغيير في كل مناحي الحياة، كمسلك حيوي لترقية دعوة الإسلام وتفعيل صلاحيته للمكان والزمان

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

والإنسان، وذلك بإصلاح الإنسان وتأهيله نحو مصف القيم الإنسانية والحضارية وامتلاكه القدرة على المبادرة والتميز والتأثير.

مراجع الدراسة:

– **القرآن الكريم رواية حفص عن عاصم.**

1- ابن حنبل أحمد بن محمد، **المسند**، ط 1. ج8، القاهرة: دار الحديث، 1416–1995.

2- البخاري، محمد بن إسماعيل، **الجامع الصحيح**. ط1، القاهرة: المطبعة السلفية، 1400 هـــ.

3- بريون فوزية، **مالك بن نبي: عصره وحياته ونظريته في الحضارة**. ط1، دمشق: دار الفكر، 2010.

4- بن عيسى عمر، **مالك بن نبي في تاريخ الفكر الاسلامي وفي مستقبل المجتمع الاسلامي**. ط1، دمشق: دار الفكر، 2007.

5- بن نبي مالك، **الصراع الفكري في البلاد المستعمرة**. ط9، دمشق: دار الفكر، 2009.

6- بن نبي مالك، **تأملات**. دمشق: دار الفكر، 2002.

7- بن نبي مالك، **شروط النهضة**. دمشق: دار الفكر، 2002.

8- بن نبي مالك، **فكرة كمنويلث إسلامي**. دمشق: دار الفكر، 2000.

9- بن نبي مالك، **في مهب المعركة: إرهاصات ثورة**. دمشق: دار الفكر، 2002.

10- بن نبي مالك، **مشكلة الأفكار في العالم الإسلامي**. دمشق: دار الفكر، 2002.

مجلة جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية – قسنطينة الجزائر–
ISSN 1112-4040 / EISSN 2588-204X
DOI: 10.37138/1425-036-001-010
المجلد: 36 العدد: 01 السنة: 2022 الصفحة: 334–374 تاريخ النشر: 10–05–2022

11- بن نبي مالك، **مشكلة الثقافة**. ط14، دمشق: دار الفكر، 2009.

12- بن نبي مالك، **ميلاد مجتمع**. تر: عبد الصبور شاهين، الجزائر: دار الوعي، 2013.

13- جلالي بوبكر، **البناء الحضاري عند مالك بن نبي**. الجزائر: دار المعرفة، (د ت ن).

14- الطاهر سعود، **التخلف والتنمية في فكر مالك بن نبي**. ط1، بيروت: دار الهادي للطباعة والنشر، 2006.

15- العبدة محمد، **مالك بن نبي مفكر اجتماعي ورائد إصلاحي**. ط1، دمشق: دار القلم، 2006.

16- العويسي عبد الله بن حمد، **مالك بن نبي: حياته وفكره**. ط1، بيروت: الشبكة العربية للأبحاث والنشر، 2012.

17- لمشيشي مولاي الخليفة، **مالك بن نبي دراسة استقرائية مقارنة**، ط1، دمشق: دار النايا للنشر والتوزيع، 2012.

18- محمد شاويش، **مالك بن نبي والوضع الراهن**. ط 1، دمشق: دار الفكر، 2008.

19- مسقاوي عمر كامل، **في صحبة مالك بن نبي مسار نحو البناء الجديد**. ط1، دمشق: دار الفكر، 2013.